٣- تهذيب اللغة

أ- مؤلفه

أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (٨٩٥ - ٩٨١)، أحد أئمة اللغة والأدب والفقه/ ولد وتوفي في هراة بخراسان/ وقع في إسار القرامطة مدة طويلة استفاد خلالها من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً، لأنهم كانوا يتكلمون بالعربية الفصحى/ من كتبه «تهذيب اللغة» (وهو أهمها)، «غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء» و «تفسير القرآن»(٣٦).

ب- منهجه

بدأ الأزهري معجمه بمقدمة طويلة استهلها بحمد الله والصلاة على رسوله (ﷺ). ثم أظهر حاجة الناس إلى العربية، وعرض للغويين الذين جاؤوا قبله، مرتباً إياهم إلى طبقات، ومقسمهم إلى ثقات وغير ثقات، وشانّا حملة شعواء على مؤلفي المعاجم قبله. وكأنه يريد أن

(٣٦) الزركلي: الأعلام. ج ٥. ص ٣١١.

نخلص إلى اعتبار معجمه أفضل المعاجم التي سبقته، ولعل هذا السبب هو الذي دفعه إلى تسمية كتابه بـ «تهذيب اللغة»، معللاً التسمية بأنه يرمي في كتابه إلى تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها على يد سابقيه ومعاصريه (٣٧).

ويتصف منهج الكتاب بما يلي:

١- نهج نهج الخليل في مراعاة الأبجدية الصوتية ونظام التقليبات.

٢- قسم الكتاب كالخليل إلى أبواب وكتب. فسمى كل حرف باباً، وكل بناء كتاباً، جاعلاً الأبنية ستة، وهي كتاب الثنائي المضاعف والثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل واللفيف والرباعي والخماسي، حاشياً هذه الأبنية بما حشاها الخليل أيضاً.

٣- نقل من كتاب العين في أكثر الأحيان، ومن دون تصرف، رغم حملته الشعواء عليه، لكنه زاد عليه بالإكثار من الروايات والنقل عن اللغويين، وهذا أمر طبيعي لكل متأخر، كما انفرد

(٣٧) يقول في مقدمة كتابه: «سميت كتابي تهذيب اللغة، لأني قصدت بما جمعتُ فيه نفي ما أدخل في لغة العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغها، وغيَّرها الغُثْم عن سَنَنها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب». الأزهري. تهذيب اللغة ص ٥.

بكثير من المواد التي أهملت في المعاجم السابقة كالعين والجمهرة، ولعل ذلك يعود إلى اتصاله بالعرب الخلّص عندما وقع أسيراً في يد القرامطة ولمدة طويلة من الزمن.

٤- عني عناية كبيرة بذكر البلدان والمواضع والمياه، مما جعل كتابه من أصح المصادر في هذا السبيل.

٥- نبَّه على المهمل وسببه وأشار إلى المستعمل الذي أهمله غيره من العلماء.

٦- اهتم أكثر من غيره بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (ولعل مرد ذلك إلى عناية الأزهري بربط القرآن والدين باللغة) كما اهتم بالنوادر ونبَّه عليها مفرداً إياها بالذكر والتنبيه.

٧- كان يدلي بدلوه أحياناً كثيرة، فيورد أقوالاً لمن سبقوه من اللغويين ثم يتبعها بكلمة «وقلت» أو عبارة «لم أسمع ذلك من الأعراب».

أما ما يؤخذ على «تهذيب اللغة» فهو ما يؤخذ على مدرسة الخليل نفسها وبخاصة صعوبة البحث فيه، لترتيبه المبني على النظام الصوتي ونظام التقليبات. يزاد إلى ذلك التكرار الذي أتى نتيجة جمعه الأقوال الكثيرة في تفسير اللفظ الواحد، وتعصبه الشديد الذي ظهر في تحامله على المعاجم التي سبقته، وبخاصة على كتاب العين.

٨- اهتم برواية اللغة من ثقات وغير ثقات

ج- أثره لعله كان تأثيره ضعيفاً من بعد

لم يقدم «تهذيب اللغة» شيئاً إلى التأليف المعجمي من ناحية المنهج، إذ سار على نظام الخليل بحذافيره، ويبدو أن كبر حجمه، جعل الناس تحجم عن نقله وتحيصه، فلا نعلم لغوياً اتخذه أساساً للدراسة غير عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري (؟ - ١٢١٥م) في «مختصر التهذيب». ولكن كثيراً من اللغويين الذين أتوا بعده اعتمدوا عليه في معاجمهم، كالصاغاني (١١٨١ - ١٢٥٢ م) في «العباب»، والرازي (؟ - ١٢٦٨ م) في «مختار الصحاح»، وابن منظور (١٢٣٢ - ١٣١١ م) في «لسان العرب»... الخ.

س/ من الذي أتم كتاب اللغة للأزهري

المستشرق الذي يدرس الدارس العلمي

٤ - البارع

أ- مؤلفه

وهو اسماعيل بن القاسم بن هارون القالي[٣٨] البغدادي[٣٩] (٩٠١ - ٩٦٧ م) ولد ونشأ في مناز جرد (على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان). تعلم في بغداد فأقام فيها خمسة وعشرين عاماً تقريباً تلمذ خلالها على أئمة عصره في اللغة والأدب آنذاك، سافر إلى الأندلس حيث وضع «البارع» وهو أول معجم ظهر هناك. له «النوادر» و«المقصور والممدود والمهموز»[٤٠].

ب- منهجه

لم يصلنا من معجم القالي «البارع في غريب اللغة العربية» إلا

(٣٨) تعود نسبته «القالي» إلى مصاحبته في بغداد جماعة من بلدة تسمى «قالي قلى».

(٣٩) لقب بـ «البغدادي» في الأندلس لأنه رحل إليها من بغداد.

(٤٠) الزركلي: الأعلام. ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢.

قطعتان مصوّرتان[٤١] لا يشملان مقدمة الكتاب، لذلك فاتنا أن نعرف الخطة التي اتبعها في معجمه، والغرض من وضعه إياه، ونظرته إلى ما سبقه من معاجم. أما أهم سمات معجمه فما يلي:

١- اتبع أبجدية الخليل الصوتية بعد أن أدخل عليها تعديلاً طفيفاً يظهره الجدول التالي:

الخليل:	ع	ح	ه	خ	غ			ق	ك			ج	ش	ض		ص	س	ز								
	ط	د	ت			ظ	ذ	ث		ر	ل	ن		ف	ب	م		و	ا	ي						
القالي:	ه	ح	ع	خ	غ			ق	ك			ض	ج	ش		ل	ر	ن								
	ط	د	ت			ص	ز	س	ظ	ذ	ث		ف	ب	م		و	ا	ي								

وقد كنا ننتظر من القالي وهو تلميذ ابن دريد أن ينهج نهج معلمه في مراعاة النظام الألفبائي العادي الذي اتبعه (أي ابن دريد) في معجمه «الجمهرة» ولكن لسبب نجهله عاد القالي إلى اتباع أبجدية الخليل الصوتية.

٢- اتبع نظام التقليبات الخليلي الذي يجمع الكلمات المكوّنة من حروف واحدة تحت نطاق واحد.

(٤١) وقد أخرجها في صورة كتاب المستشرق «فلتون» أمين المكتبة الشرقية بالمتحف البريطاني في السنة ١٩٣١.

٣- أخضع تبويب الكلمات لنظام الكمية كما فعل قبله الخليل، مع بعض الاختلاف في التصنيف إذ جاءت الأبواب عنده ستة كما يلي:

أ- الثنائي المضاعف، ويسميه الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة، دامجاً فيه ما يسميه الصرفيون الرباعي المضاعف نحو «زلزل» و«صرصر»[٤٢].

ب- الثلاثي الصحيح وهو ما تكوّن من ثلاثة أحرف صحيحة، وفي هذا الباب لم يختلف فيه اللغويون كثيراً.[٤٣]

ج- الثلاثي المعتل، وهو عند القالي لا يقتصر على ما فيه حرف علة واحد، كما عند الخليل والأزهري، بل يتضمن إلى جانب ذلك اللفيف بنوعيه.

د- الحواشي والأوشاب. وقد انفرد بها القالي، ذاكراً في هذا الكتاب أسماء الأصوات ومحاكاة الطيور والحيوانات[٤٤]. وقد

(٤٢) وهنا لا بد من الإشارة إلى أن تعبير الخليل «الثنائي» كان أدق.

(٤٣) إلا الذي فيه همزة حيث اعتبرها بعضهم حرفاً صحيحاً واعتبرها بعضهم الآخر حرف علة.

(٤٤) قال معللاً تسمية هذا الباب «إنما سميناه أوشاباً لأنا جمعنا فيه الحكايات والزجر والأصوات والمنقوصات، وما اعتل عينه ولامه أو فاؤه =

حذكر الكلمات فيه تحت عناوين الثنائي فالثلاثي فالرباعي[٤٥].

هـ - الرباعي ثم الخماسي؛ وقد اتبع فيها ما اتبعه الذين ساروا على نهج الخليل.

٤ - اهتم بضبط اللفظ عناية تحريفه وكان ذلك للمرة الأولى في تاريخ المعاجم، وقد سلك في ذلك طريقتين، أولاهما تنص على ضبط الكلمة بالشكل[٤٦]. وثانيتهما تذكر وزن الكلمة[٤٧].

٥ - اهتم بنسبة كل قول إلى صاحبه، وكان أميناً في ذلك، وقد ظهرت في شروحه أسماء كثيرة للغويين كبار[٤٨].

= ولامه أو فاؤه وعينه، أو كان ماؤه ولامه أو فاؤه وعينه أو لامه وعينه، بلفظ واحد». القالي: البارع في اللغة. تحقيق هلترون، ط. إستنبول سنة ١٩٣٢، ص ٧٦.

(٤٥) ليس في الجزء المصوَّر من «البارع» كلمة خماسية أو أكثر.

(٤٦) يقول مثلاً: «قال الأصمعي: يقال كتا حلق خاتم الشيء بكسر الجيم وتشديد الدال وبالهاء، وأصله أعجمي نطق به كذا ما ... وقال الأصمعي وغيره: يقال رجل له جد بفتح الجيم، أي له حظ في الإقبال ...» وقبله بكسر الماء وفتح العين، وفعال بكسر الفاء ...

(٤٧) يقول مثلاً: «يقال زج وزججة وزجاج ...

(٤٨) مثل الخليل بن أحمد، وأبي زيد الأنصاري، ولا سيما في السكيت، والأصمعي وأبي عبيدة، والكسائي، والسجستاني والفراء وغيرهم.

س/ ما هي المآخذ على معجم البارع

٦ - اهتم بلغات العرب وبخاصة الكلابيين عناية فائقة، كما ا أحياناً بنقد الآراء الضعيفة.

٧ - اعتنى بذكر النوادر والأخبار[٤٩].

أما المآخذ التي وجهت إلى «البارع» فهي المآخذ نفسها التي وجهت إلى «كتاب العين» ومدرسته وبخاصة صعوبة البحث فيه. يزاد إليها مأخذان مهمان: أولهما التكرار الظاهر في الشواهد أو

---

(٤٩) ومنه قوله: «قال ابن الأعرابي وغيره، نزل الجبل السعدي، وهو بعض أسفاره على ابنة الزبرقان بن بدر، وقد كان يهاجي أباها. فعرفته، ولم يعرفها. فأتته بغسول، فغسل رأسه، وأحسنت قراه، وزودته عند الرحلة فقال لها: من أنت؟ فقالت: وما تريد إلى اسمي؟ قال: أريد أن أمدحك، فما رأيت امرأة من العرب أكرم منك. قالت: اسمي رَهْو. قال: لله ما رأيت امرأة شريفة سميت بهذا الاسم قبلك. قالت: أنت سميتني به. قال: وكيف ذاك؟ قالت: أنا خليدة بنت الزبرقان. وقد كان هجاها في شعره فسماها رهواً. وذلك قوله:

فأنكحتهم رهواً كأن مجانها ... مَشَقُّ إهاب أوسع السلخ ناجله

فجعل على نفسه ألا يهجوها ولا يهجو أباها أبداً، وأنشأ يقول:

لقد زل رأيي في خليدة زلة ... سأثني عليها ما أقام وأذنب

وأشهد والمستغفر الله أنني ... كذبت عليها والهجاء كذوب

المادة الواحدة أحياناً)(٥٠) وفي التفسيرات، وثانيها ايراد التفسيرات المختلفة أو المتعارضة دون بذل أي جهد للتوفيق بينها.

ج- أثره

يظهر أن «البارع» لم يلاق إقبالاً من الناس، إذ لا نعرف من الكتب التي وصلت إلينا أحدًا أخذه موضوعاً للدراسة سوى تلميذه أبي بكر الزبيدي في كتابه «المستدرك من الزيادة في كتاب البارع على كتاب العين».

(٥٠) انظر مثلاً مادتي «عوه» و «وهل».

س/ اهم مميزات معجم البارع:

١- اهتمامه بالغريب والنادر من اللغة.
٢- اهتمامه بالشواهد.
٣- اهتمامه بلغات العرب واللهجات.
٤- اهتمامه بالحوادث التاريخية.
٥- اهتمامه بضبط اللفظ بالشكل.